اللاشعور Unconsciousness

أ. د سامر جميل رضوان* Prof. Dr. Samer J. Rudwan

هل شعرت مرة أنك تكره شخصاً ما تراه لأول مرة دون أن تدري السبب؟ هل أصبت يوماً بتأنيب الضمير لأنك مررت من أمام متسول ولم تعطه النقود لقناعتك بأنه غير محتاج؟ وهل أنت ممن لا يستطيعون إلا وأن يعطوا المتسولين شيئاً على الرغم من القناعة بأنهم قد يكونون غير محتاجين؟ وهل ضايقتك أحلامك واحترت في تفسيرها؟ وهل أنت ممن لا يدرون أسباب كثير من تصرفاتهم؟ إذا كنت كذلك ومن المؤكد أننا جميعاً نمر بمثل هذه المواقف، فقد آن الأوان لنن تعرف المحرك وراء ذلك، والذي نطلق عليه تسمية اللاشعور. فما هو اللاشعور؟

يصف اللاشعور العمليات النفسية التي لا يستطيع الإنسان إدراكها من خلال شعوره الظاهر أو من خلال حالته اليقظة أو الصاحية. وعلى الرغم من هذا، فإن تصوراتنا وأفكارنا وذاكراتنا ودوافعنا المخزنة في لا شعورنا تؤثر على ردود أفعالنا الواعية أو الشعورية. فخبرة أن النار محرقة على سبيل المثال خبرة مخزونة في لا شعورنا. وهذه المعلومة لا يحتاجها شعورنا الصاحي إلا في الحالات التي نتعرض فيها لخطر الإصابة بحرق ما. فتجدنا نندفع بعيدين عن النار مثلاً. ويمتلئ اللاشعور بالمحتويات النفسية، وطبقاً للمنشأ الذي نشأت منه يتم التمييز في علم النفس بين اللاشعور الشخصي والأسري والجمعي.

اللاشعور الشخصي:

يشتمل على كل ما هو مكبوت. وهذا المكبوت عبارة عن الذكريات الطفولية المبكرة. وتظل هذه الذكريات كامنة في اللاشعور ولا يمكن عادة استحضارها إلى الشعور أو إلى الحالة اليقظة. ولللاشعور الشخصي دور مهم في الاضطرابات الرهابية والأمراض النفسية الجسدية أو في قابلية الإنسان للإثارة والتوتر.

اللاشعور الأسري:

يتضمن الرغبات والتوقعات والقيم التي تغرسها فينا الأسرة والمجتمع خلال التنشئة الاجتماعية، دون أن يعي الإنسان ذلك. ومن مثال ذلك "على المرء طاعة والديه" "على المرء أن يساعد الفقراء"، "المنزل الكبير يمنح المرء وجاهة"، وهذه الأمثلة عبارة عن اتجاهات مزروعة فينا أسرياً أو اجتماعياً.

* Prof. Dr. Samer J. Rudwan, Department of Education & Cultural Studies, College of Arts & Sciences, University of Nizwa, Oman. Email: srudwan@hotmail.com

وقد صاغ عالم النفس "كارل غوستاف يونغ" كذلك مفهوم اللاشعور الجمعي وقصد به ردود الأفعال التي يشترك فيها الناس جميعاً، منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض. فنحن نستجيب للموت بالحزن والبكاء، وللولادة بالفرح، وعلى الخطر بالهرب أو الهجوم إلخ. وجميع ردود الأفعال هذه، لا نتعلمها وإنما تولد معنا، ولكنها غير موروثية، وإنما منقولة لنا روحياً. ويرى يونغ أن كل إنسان يحمل معه تاريخ كل أجداده الأوائل من خلال التناقل الروحي. ويستشهد "يونغ" على ذلك من خلال أن جميع الشعوب تمتلك تصورات متشابهة حول السحرة مثلاً، أو حول المحاربين العظماء أو الحكماء، ويرى أن هذه النماذج التي نجدها لدى كل الشعوب، التي يطلق عليها تسمية النماذج البدئية أو الأولية، هي جزء من اللاشعور الجمعي الذي تشترك فيه البشرية.

ويؤثر اللاشعور دائماً على الحالة الشعورية من خلال إشارات المستمرة دون أن يدرك الإنسان ذلك. وغالباً ما يحتار المرء في فهم محتوى أحلامه، ومن الأفكار الغريبة التي تسيطر عليه فجأة أو من رغباته أو خيالاته الجامحة. وهي إذا ما أثارت فينا القلق والتوتر، فإننا ننكرها ونحاول تجاهلها أو أنها تنتمي إلينا، ولكنها جزء من ذاتنا، نحاول كبتها ثانية في اللاشعور لتعود ثانية وهكذا. ولهذا السبب، غالباً ما تترافق تصرفاتنا بمخاوف مجهولة ومشاعر غامضة، وهذه المخاوف سببها لاشعورنا الذي يشكل هنا المحرك النفسي.

ويمكننا التعرف إلى أجزاء معينة من لاشعورنا إذا ما أردنا ذلك، كالذكريات القديمة وما يشبهها. غير أنه توجد بعض المحتويات التي يصعب استحضارها. ويشكل التحليل النفسي هنا الطريقة المثلى في استعادة ونش محتويات اللاشعور. ومن أجل تتبع أثر الحوادث النفسية اللاشعورية، يتم في التحليل النفسي تحليل الأحلام والخواطر الحرة و زلات اللسان والقلم. وعندما يحدث ذلك بشكل منتظم خلال فترة زمنية طويلة، يمتلك الإنسان المفتاح إلى لاشعوره ويستطيع فهم دوافع وأسباب تصرفاته و مخاوفه الكامنة.